

اللون الأسود ، أشكاله وجمالياته في شعر أبي العلاء المعري (دراسة تحليلية سيكولوجية)

محمد شايفان مهر

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع كاشمر

shayegan47@yahoo.com

محمد جعفري

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع كاشمر

m.jafari@gmail.com

محمد رجبى

خريج الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع كاشمر

A6351108@gmail.com

**The black color, its forms and aesthetics in the poetry of
Abi Ala 'Al-Maari (an analytical psychological study)**

Muhammad Shaivan Mehr

Assistant Professor in the Department of Arabic Language and
Literature at the Islamic Azad University , Kashmir

Fribers Hussain Janzadeh

Assistant Professor in the Department of Arabic Language and
Literature at the Islamic Azad University , Kashmir

Muhammad Rajabi

PhD graduate in the Department of Arabic Language and Literature at
the Islamic Azad University , Kashmar

Abstract:

Numerous studies in psychology have appeared in the modern era, which are investigating the significance of color, its importance, and its psychological and aesthetic role in understanding human thoughts and intentions. Especially when color is used by a genius writer with a delicate sense; at that time, color was not less important than words, musical structure, and style, and it was considered one of the most important ways to reveal the intentions and purposes of the text. As for when the blind poet uses color in his poetry, this employment has another wit and great importance, because despite his blindness he uses color with his perception and mind, so color is more important and connected to his mental perceptions and the most important way to understand his idea and style. Of these colors, black is the color that the blind see the world with and is more important and frequent in blind poetry. One of the prominent Arab poets who has a great genius in Arabic poetry is Abu Al-Alaa Al-Maari. He is, despite his lack of eyesight, the understanding of matters and affairs, and an understanding of the major humanitarian issues in a profound and fundamental way. So, I have no doubt that he uses colors in their subtleties and important connotations in his poetry, especially the black color that the poet has dealt with repeatedly throughout his life. So this study, given the importance of employing color in Maari poetry, especially the importance of black and its leading connotations, envisages to study the aesthetics and functions of this color in his poetry collection through the descriptive-analytical approach. The result concluded that the poet used this color in different forms, such as crow, eye, zinj, etc., and displayed negative and positive binary aesthetics on it.

Key words : black color , Arabic poetry , Abu Ala al-Murabi , psychological , aesthetic . , Position ,Islamic ,Magazine-Palestine , Issue-(AL-Najaf : War) ,defence

المُلخَص :

لقد ظهرت في العصر الحديث دراسات عديدة في علم النفس وهي تبحث حول دلالة اللون وأهميتها ودورها السيكلولوجي والجمالي في فهم أفكار الإنسان ونواياه. خاصة حينما يتم استخدام اللون من جانب اديب عبقر ذو حاسة دقيقة؛ حينذاك لم يكن اللون أقل أهمية من الكلمات والبنية الموسيقية والأسلوب ويعتبر من أهم السبل للكشف عن نوايا النص ومقاصده. أما حينما يستخدم الشاعر الأعمى اللون في شعره، لهذا التوظيف طرافة أخرى وأهمية كبرى، لأنه رغم عدم بصره يستخدم اللون بإدراكه وذهنه، فاللون أكثر أهمية وتلاصقا بمدركاته الذهنية وأهم طريق للفهم علي فكرته وأسلوبه. من هذه الألوان اللون الأسود، اللون الذي يري الأعمى العالم به وهو أكثر أهمية وتواتر في الشعر الأعمى. من الشعراء العرب البارزين الذي له عبقرية كبرى في الشعر العربي هو ابوالعلاء المعري. هو علي رغم عدم بصره تلقي الأمور والشؤون وفهم القضايا الإنسانية الكبرى فهما عميقا جذريا. إذن لاشك أنه يستخدم الألوان بدقائقها وبدلالاتها الهامة في شعره خاصة اللون الأسود الذي تعامل الشاعر معه طوال حياته كرارا. إذن هذه الدراسة نظراً إلي أهمية توظيف اللون في شعر معري وخاصة أهمية اللون الأسود ودلالاته المؤدية، تتوخى أن تدرس جماليات هذا اللون ووظائفه في ديوانه الشعري خلال المنهج الوصفي - التحليلي. خلصت النتيجة أن الشاعر استخدم هذا اللون في أشكال مختلفة كلون الغراب والعين والزنج وإلخ وعرض عنها جماليات ثنائية سلبية وإيجابية.

الكلمات الرئيسية: اللون الأسود ، الشعر العربي ، أبو العلاء المعري ، السيكلوجية ، الجمالية .

١. المقدمة

اللون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة الأدبية لما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية والدينية والنفسية والاجتماعية والرمزية والاسطورية. «يبرز اللون كعنصر من أهم عناصر الجمال التي نهتم بها في حياتنا، وعلي الرغم من تعدد الألوان المحيطة بنا التي تزخر بها الحياة من ألوان طبيعية متمثلة في الأزهار والنباتات والحيوانات والسماء والأرض والبحار إلا أن الإنسان لم يقنع بهذه الألوان وأضاف إليها من فنه وعلمه الكثير من الألوان. والأديب يستثمر الألوان لخلق التوازن والتناسب والوحدة والإنسجام التي هي من أهم مباني علم الجمال. بحيث يعتقد بعض كبار الشعراء أنه لا بد من تدمير الواقع الخارجي لخلق واقعية جديدة ولحصول هذا الغرض لا بد من الالتجاء الى الألوان؛ اذن التدقيق في الآثار الأدبية يرشدنا الى أن استخدام اللون في هذه الآثار ليس صدفة وليس لتعميق الكلام فحسب بل له ارتباط وثيق بجميع المستويات البنيوية والبلاغية والتعبيرية للنص الأدبي» (بلاوي، ١٤٣٣: ١٠). يسعين الشاعر بالألوان، ليعبر عن عمقه العاطفي وجوهره الفكري، وكأنه رسام عارف بخفايا الألوان ودلالاتها وعلاقاتها بالإنسان، بل إن «الصور والألوان تنطلق من جوانية الشاعر، وخبرته البصرية، ووعيه التاريخي، وحفرياته الأسطورية، وتجربته النقدية، وتحواله ومشاهداته التشكيلية، وتنوع اهتماماته بين الفنون، بحيث تصبح الصورة ليست مجرد أداة للمعرفة فحسب، وإنما أداة للحرية أيضاً» (نشوان، ٢٠٠٤م: ١٢٦).

أما بين هذه الألوان، «اللون الأسود هو اللون الأكثر هيمنة علي حياة البشر، والأكثر تدخلاً في مصائرهم منذ أقدم الأزمنة وفي معظم الثقافات علي مر العصور أيضاً، والأكثر تشكيلاً لتقاليدهم وحساسية لتعاملهم مع الأشياء في الحياة، والأوسع استجابة لخوفهم وأحزانهم ومعاناتهم والتفافهم حول ذواتهم وتشبّثهم بالمكان» (جواد، ٢٠٠٩م: ٤٤). فهو كثيراً ما يرمز - عادةً وعموماً - «الي الخوف من المجهول والميل الي التكتّم، ولكونه سلبي اللون يدل علي العدمية والفناء» (عمر، ١٩٩٧م: ١٨٦)، ويرمز أيضاً الي «الحكمة والرزانة، ولذلك يتخذ كثير من رجال الدين شعاراً لهم» (ظاهر، ١٩٧٩م: ٥٥). ويدل علي المستوي الدبلوماسي «علي قيمة صاحبه ومركزه الاجتماعي

والرسمي، ولذا يُلبَس في المآتم والاحتفالات الرسمية» (عبو، ١٩٨٢م: ١٣٧)، دالاً علي الوقار والعظمة وعلو المكانة (العمري، ١٩٨٩م: ١٩). دلت علي اللون الأسود في اللغة الفاظ كثيرة في الأغلب تجمع علي انه ضد الجمال، وكل ما هو سيء، ووصفوا تدرجه، «أسود، أسحم ثم جون وفاحم وحالك وحانك ثم انه حلوك، وسحوك، ودجوجي، ثم غريب، وغدافي، وخداري» (الثعالبي، ٢٠٠١م: ١١٨). و من دلالاته الحزن والتشاؤم، فقد كان العرب يتشاءمون حتي من مجرد النطق بهذا اللون وأحد مشتقاته (عمر، ١٩٩٧م: ٢٠١). و كانت للعرب ايام وحروب، «فكانت عبارة يوم أسود كناية عن التشاؤم به وتوقع الشر» (الثعالبي، ٢٠٠١م: ص ١٢٠).

من ناحية أخرى، عندما نرى ملامح اللون في كلام الشخص الكفيف وكتابات، يجب أن نميز بين نوعين من العمى الخلقي وغير الخلقي للحصول علي هذه الميزة. «الأعمى الخلقي بقوة خياله وعواطفه الإنسانية يشارك في فهم الظواهر البصرية مع الآخرين، وعندما يسمع الكلمات التي تدل على اللون أو الضوء أو الشكل، فإنه يدرك معانيها بظنه، لأنه تربطها بمعاني أخرى المكتسبة من خلال حواس أخرى» (السقطي، ١٩٦٨: ١٢١). لكن المكفوفين غير الخلقيين، الذين تمكنوا من رؤية ألوان مختلفة في فترة زمنية معينة، يمكنهم التعبير عن الألوان في قصيدته بناءً على خصائصه العقلية والنفسية. معري من الشعراء الذين لم يولدوا أعمى ولديهم خبرة بصرية لبعض الوقت (الخطيب ٩٩: ١٣٩٩). تم تقديم الصور الشعرية الملونة بألوان مختلفة في شعره التي تفتح للشعراء نافذة من معرفة روحه ونفسيته وتكشف عن حقائق عن شخصية وأسباب أفعال هذا الشاعر الخارجية. هذه الإمكانية الشعرية لدي الشاعر وعدم إنجاز دراسة أساسية حول هذا الموضوع، قاد الكتاب لهذا المقال إلي تحليل وظائف الألوان وجمالياته خلال للإجابة على الأسئلة التالية بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي. أما أسئلة البحث وهي علي التوالي:

كم استخدم الشاعر اللون الأسود في شعره؟

ماهي الوظائف الجماليات التي تكمن في الأشعار المستخدمة فيها اللون الأسود؟

٢-١. الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات حول وظيفة اللون في الشعر خاصة في الآونة الأخيرة. لكن من الدراسات التي تناولت الألوان في الشعر العربي منها كتاب ماجد فارس قاروط الموسوم بـ «تجليات اللون في الشعر العربي الحديث»؛ ورسالة احمد عبدالله محمد حمدان الموسومة بـ «دلالات الألوان في شعر نزار قباني» في جامعة النجاح الوطنية، ودراسة حيدر محمد جمال سيد احمد تحت عنوان «إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة» المنشورة في مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، ومقال مشترك لمحمد مهدي سميتي ونرجس طهماسبي تحت عنوان «اللون الرمزية في اشعار صلاح عبدالصبور» المنشور في مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها. ومقالة «دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي» آباد مرضيه، بلاوي رسول، المنشورة في مجلة اضاءات نقديه في الادبين العربي و الفارسي. يتناول هذا البحث دراسة الألوان ودلالاتها في شعر الشاعر العراقي يحيى السماوي دراسة دلالية أسلوبية، ويهدف إلى إحصاء الظواهر اللونية في شعره وإبرازها، وقد اعتمد البحث منهج التحليل والوصف والإحصاء في تناول الألفاظ اللونية. فالسماوي من الشعراء المعاصرين الذين قاموا بتوظيف الألوان الرمزية علي مستوى وسيع. وتشير نتائج هذا البحث إلى أن الشاعر اعتمد في استخدامه للون علي ألوان بعينها، وهي علي الترتيب حسب قوة ظهورها لديه: الأخضر والأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأزرق. وهناك أيضا مقال «دلالة الألوان في شعر المتنبي»، لعيسي متقي زاده و خاطره احمدي. المنشور في مجلة اضاءات نقديه في الادبين العربي و الفارسي. نظراً إلى أن العصر العباسي يعتبر كالعصر الذهبي للأدب العربي وأن المتنبي منزلة رفيعة بين الشعراء، هذه المقالة تحاول دراسة ظاهرة اللون في اشعار المتنبي من خلال المنهج الوصفي - التحليلي وتبين وجوه دلالة اللون بنوعها الرمزي والتصريحي عنده. يلاحظ أن الشاعر قد يجعل للألوان دلالات رمزية وأحيانا تصريحية، وقد يستخدم هذين النوعين في بيت واحد.

أما هذه الدراسة، كما نجد في الدراسات السابقة، غفل الباحثون عن دراسة الألوان في شعر أبي العلاء معري علي رغم تعدده واستخدامه للألوان رغم عميه وكفة بصره.

إذن هذه الدراسة تنوي دراسة جماليات اللون الأسود في أشعار هذا الشاعر. والدراسة جديدة لم يبحث عنها أحد حتي الآن.

٣. نبذة عن الشاعر

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داوود بن المطهر بن زياد ربيعة الله التنوخي المعري (ابن خلكان، لاتا: ١١٣). سمّاه والده أحمد لكنه كرهه ورأي أن من الأفضل أن يكون اشتقاق اسمه من الدم بدلاً من الحمد. حيث يقول: أوحّد سمّاني كبير قلمًا، فعلتُ سوي ما استحقّ به الذما. (معري، لاتا: ج ٢: ٣٠٧). قد ولد المعري بمجرة النعمان وبعد سنوات غدر مسقط رأسه إلي بغداد طالبا للعلم لكن مقامه هناك لم يستغرق طويلا فعاد إلي المجرة لسببين رئيسين: أحدهما فقد أمه التي كانت تتعهده، ووفقد أسرته وفقد أصحابه اللذين ألفهم ألفوه منذ الصبا ورضي عنهم ورضوا عنه وثانيهما: أن أبا العلاء كان شديد الألفة والإباء، وقد ضاق المال الذي اصطبحه إلي بغداد عن حاجاته الكثيرة في السفر ولم يستطع أن يستقدم غيره من المعربة لبعد الشقة أو لعدم وجود ما يسد حاجته، كما أنه لم يستطع أن يبذل ماء وجهه بسواء أحد» (الجندي، ١٩٩٢م: ٢٦٤). وبعد فترة قصيرة من حياته أي في السنة الرابعة من عمره أصيب بداء الجدري وكفّ بصره منه. كان المعري مرهف الإحساس والشعور وإن ما لقيه من أذى الدهر وصعابه قد جعل الحياة مبغوضة إلي فاختر العزلة في حياته والزهد عن الدنيا وزخارفها هو ما يسترعي انتباهنا عند التطرق إلي حياته. قال القفطي عن موته: «وفي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول يعني من سنة تسع وأربعين وأربعمائة توفي بمجرة النعمان من الشام أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري الشاعر الأديب الضريع» (جمع من المؤلفين، ١٩٦٥م: ٦٥)

٣. البحث والدراسة

كما عرفنا أن الأسود هو أحد الألوان الهامة التي لها حضور لغوي ودلالي حيوي في الثقافات المختلفة. «يعتبر هذا اللون في الثقافة العربية رمز الشر والموت» (الفيفي، ١٩٩٧: ١٥). الأسود هو أبشع الألوان التي ينكر نفسه بنفسه. يمثل هذا اللون حداً يتوقف عنده كل شيء ويدل علي الفراغ والعدم وهو يزيد روح الاكتئاب والشعور

بالإرهاق لدى الإنسان ويقلل من قوته الجسدية والعقلية» (بورحسيني، ١٣٨٤: ٨٣). يشير هذا اللون إلى الفراغ والدمار وعلى عكس الأبيض، الأسود هو نقطة النهاية (بناهي ١٣٨٥: ٥٦). وفي النصوص الأدبية يرمز إلى «الحقد والقلب الأسود والشقاء والرضا عن شيء» (بورحسيني، ٨٣). اللون الأسود تواتر متزايد في شعر المعري وهو يسود علي الألوان الأخرى وهو ظهر في شعره خلال حالات مختلفة؛ في التالي تأتي بهذه الحالات والأشكال ونبين دلالتها ووظائفها.

١. ٣. الليل الأسود

من أهم الأشكال التي ظهر اللون الأسود فيه هو الليل. حينما يصف الشاعر الليل ويجعله كثيمة أساسية في شعره متلائما مع حالته الروحية والإمكانية الغنائية والطاقات الشعرية التي يحمل الليل بين دفتيها. لأجل هذا نجد تواترا ملحوظاً متنوعاً لظهور هذه الظاهرة في شعر المعري. الليل يصبح في أبيات الشاعر الكثيرة بصمته وسكونه ظرفا حتي يتذكر الشاعر ألمه وحزنه ويتأمل فيه، لكن هو لايري شيئا سوي اللأسود والأسود وحتى الفجر لا يستطيع أن يزول هذا الغسق. والبياض في شعره رغم أن يبعث الراحة والثقة، لكن هجوم الليل كثافة السواد، لايسمح الظهور والبروز؛ إذن هذا اللون الذي يدل علي القلق والحزن حيث لايزولها اللون الأبيض مع الفجر:

لوأن بياض عين المرء صبح هنالِكَ ما أضأبه السواد

(سقط الزند، ج٢، ص ٦٣)

في هذا البيت، ترمز اللون الأسود وهيمنته علي اللون الأبيض إلي إيمان الشاعر علي نهاية الإضطرابات والشر والسلطة ومقاومته القوية للسلام والهدوء والحياة. يعكس هذا الصورة والتجسيد بنظرة رمزية هيمنة الروح السلبية والمزعجة للشاعر. نجد أن قصيدة الشاعر تعتبر «صرخة الحرية في عبودية الأقدار، الذي لم يكن له اختيار في ولادته وموته، كما لم يكن له ذنب في العمى الذي أصابه مثل الطاعون طوال حياته (سعفان ١٩٩٣: ١٣٢). لأحل هذا هو هذا اللون حينما يتسم به الليل يهيمن علي عالم الشاعر لأن الليل مع سكونه يناسب الحالة العاطفية للشاعر كما هو مع سواده يلائم مع حالة الشاعر الجسمية. وفي البيت التالي أيضا نجد هذا النوع من الطريقة الفكرية:

وَجُنَحَ يَمْلَأُ الْفَوْدَيْنِ شَيْئاً وَلَكِنْ يَجْعَلُ الصَّحْرَاءَ خَالاً

(المصدر نفسه، ج ٢: ٢)

في هذا البيت استخدم الشاعر كلمة الجنح لبيان سواد الليل. جنح: مع كسر الجيم وضمه، بمعنى قسم كبير من الليل أو معظم الليل. أما فودين مفردة فود؛ هو بمعنى جانبيين من الرأس. شيئا: الشعر الأبيض. هنا أيضا نجد ثنائية السود والبياض في صورة استعارية في البيت. في هذا البيت يعبر عن الأثر الإيجابي والسلبي للليل على كائنات عاقلة وغير عقلانية معاً. لديهم مشاعر ووعي. مصاعب الليالي المظلمة ومصائبها تجعل شعرهم يتحول إلى اللون الأبيض يظهر الشيوخ في السن. لكن من لا يشعر ولا يعقل الليل يجعل شعره يتزين. حسب اعتقاد الشاعر أن الليل من عوامل الخوف والإضطراب في الإنسان والعدو ووقت دخول الليل تبدأ قلوب الأعداء بالخفقان مثل الذباب وله تأثير مباشر علي تبييض الشعر. لكن في البيت التالي نجد دلالة إيجابية رومنقية لليل، وهو الذي يسبب الفرح والحب

يُودَان ظِلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزَيْدَ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ١٨)

هنا نجد دلالة إيجابية للون الأسود في البيت لأجل هذا الشاعر يريد دوام الليل ودوام السواد. يقول الشاعر أن خيالك وشبحك مغرم بي لدرجة أنه لا يريد أن ينفصل عني، لذلك تتمنى أن يستمر ظلام الليل ويضاف ظلام قلبه وعينه إلى ظلام الليل حتى الليل يدوم لفترة أطول. أو يريد أن يكدر ظلام عيوني في حبك وأو يضاف سواد عيوني علي سوال الليل ويظهر في الظلام و القلب الحزين داكن والقلب الحزين محتاج الى طيف حبيب. كما نجد بوضوح أن الشاعر في هذا البيت، جسّد بشكل جميل المعنى الإيجابي للون الأسود، وهو الحلم في الصمت وهدوء الليالي المظلمة والكدر، التي ينزع البعد منها حلاوة الإنسان ولذته؛ لذلك يتمنى الشاعر أن يضاف كل السود إلى سواد الليل، وكذلك يستخدم اللون الأسود للعينين، وهو علامة حب وحنان.

مُضَمَّخاً، يَنْظُرُ فِي عَطْفِهِ، كَأَنَّ مَسْكَاً لَوْنَهُ الْأَسْحَمَ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٢٢٥)

في هذا البيت، يتم التعبير عن تركيب الألوان بين الأسود والأبيض ووفقاً لسيكولوجية الألوان، فإن الأشخاص الذين يستخدمون هذين اللونين في نفس الوقت يعتبرون أشخاصاً الأكثر جاذبية وأناقة. وكذلك تم استخدام كلمة المسك في هذا البيت. والمسك بالإضافة إلى استعمالاته الأخرى كنوع من العطور أو الألوان، هو نوع من الأدوية والعطور والحيوان، ويعتبر من الأدوية المفردة التي تستخدم في علاج مختلف الأمراض. والشاعر العربي العباسي هو واع بالدقة عن الخواص والخصائص لهذه المادة القيمة ويقول هكذا:

وأهجم علي جنح الدُجي ولو أنه أسدٌ يصول من الهلالِ بمِخلَبِ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٠٦)

في هذا البيت، عبّر الشاعر عن صموده ومثابرته تجاه مصيبة العمى بطريقة رمزية وجميلة، وهي كلمة الحب، لايقاومها شيء حتى الأسد المقترس. يدرك شاعرنا الكفيف التأثير الإيجابي لكلمة حب بصورة جيدة لأن استخدامها في كل مراحل حياتنا هو أعظم سر للنجاح. مع القوة الفائقة التي يمكن أن تفعل أي شيء بالقوة أو حتى تدمير الحياة بواسطتها. لكن القوة الخفية للحب هي التي يمكن أن يخترق قلوب الناس وقدم الحب كأعظم سلاح لها وتعلم أنه لايمكن أن يقاوم رصاصة أي شخص يطلقها ببطء ويعتبر ردود فعله بالنسبة إلي أعمال الآخرين الحب و العشق، لأنها بمثابة مفتاح لفتح قلوب الذين تصدأهم الكراهية والغضب.

٢-٣. الحصان الأسود

من المظاهر الأخرى التي تجلي اللون الأسود فيه هو الحصان أي الفرس الأسود. الشاعر رغم أنه كفيفاً ذكر في بعض من أبياتها حينما يصف العناصر الحربية و الطبيعية من اللون الأسود في الحصان ولم يغفل عن استخدامها، كما في البيت التالي استعار هذا اللون في وصفه عن الليل وهو يقول:

تُريكَ له سماءً، فوقَ أرضٍ فُروجَ قَوائِمٍ، يَعدَدُنْ، لُوحاً

(المصدر نفسه، ج ٢: ٥١)

كما نجد، أن السماء في هذا البيت، هي استعارة لظهر الحصان، وهي تشبه السماء في الرفة والارتفاع. الأرض تكون كناية إلى أرجل الحصان القوية. كلمة فروج: وهي بين يدي الحصان وقدميه. لوح: هو المسافة بين السماء والأرض. أما كان اللون الأسود هو لون الشخصية المثقفة، وكان من استخدم هذا اللون أشخاصاً مميزين وأنيقين ومتقنين، وهنا أيضاً الحصان الأسود الذي يعد الآن أقدم وأجمل حصان في العالم، الآن تنتمي إلى منطقة فريزلاند في شمال المجر. وهي من أجمل الأجناس بين الحصان. أي هنا نجد دلالة إيجابية لهذا اللون وهي تدل علي الأصالة والحسن. كما في وصفه الآخر نجد مقارنته وصف الليل بوصف الحصان وهي علي ماتلي:
وليلان: حال بالكواكب جَوزَه وآخر، من حلي الكواكب، عاطل

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ١٢٥)

صور الشاعر هنا ليلتان، هناك ليلة يتزين وسطها بالنجوم (وهي الليلة الحقيقية) وأخرى تخلو من زينة النجوم والمقصود من الأخير هو الحصان الأسود الذي ليست فيها نقطة بيضاء فيه. الجمال الأسود الحقيقي هو الاسم المستعار الذي يستخدمه الناس لفريدريك العظيم، وهو حصان يبلغ من العمر ١٦ عاماً وهو أجمل حصان في العالم. لا أحد يستطيع أن يصدق كم يستيع أن تكون هي جميلة هكذا، بجسدها العضلي المتوهج والشعر الأسود في مهبّ الريح، بل إن البعض يعتبرها أجمل حصان شهده الأرض على الإطلاق. في هذا البيت، يتم التعبير عن الجمع بين اللونين الأسود والأبيض أنهما إذا تم استخدامهما معاً، فسيخرجان من الجفاف والبرودة ، أما إذا تم استخدام اللون الأسود وحده، فإن له معنيان، أحدهما يعني القوة والغموض والأناقة والمعني الآخر هو البرد والجفاف هنا يعبر بواسطة قوة حصانه الأسود عن هذا الموضوع. هنا أيضاً نجد دلالة إيجابية في اللون الأسود والشاعر حينما يصف الليل بصيغة رومنتية أصيلة استخدم الحصان كأداة مساهمة في تعزيز هذا العنصر والوصف. أو في البيت الثاني نجد هذا اللون بصورة غير مباشرة:

قَطَعْتُ بِهِ بِحْرًا، يُعَبِّ عِبَابُهُ وليس به، الا التَبَلَجُ، ساحل

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ١٢٥)

في هذا البيت، صورَ الشاعر قوة اللون الأسود وشدته، والطريقة الوحيدة للسيطرة عليه هو الحصان الأسود الذي لا يحتوي على أبيض، ويشير إلى المعنى الإيجابي للون الأسود وهو تجسيد لقدرة الله وإرادته. كما نجد في البيت التالي أن الشاعر استخدم هذا اللون حينما يصف الجيش والمركة وصفا ملحميا، ولايستغن من توصيف الحصان الأسود في هذا السياق إذن نراه ينشد:

وبَعِيدَةُ الاطرافِ رُعنَ بِمَاجِدٍ، يردِينَ فَوْقَ أَسَاوِدٍ، لَمْ تَطْعَمِ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٧٢)

في هذا البيت، يشير الشاعر إلى العديد من أعداء الممدوح وقوته في هزيمتهم والفوز عليهم، لأن وجود العديد من الرماح السوداء والثعابين السوداء يدل على وجود العديد من الأعداء وجيوشهم، لكن القوة الممدوح وقوة وتلك الخيول السوداء ذات المحافر الذين يعبرون عليهم مع كل قوتهم.

٢.٣. الزنجي الأسود

من سائر الأشكال التي ظهرت في شعر المعري بلونه الأسود هو الزنجي. هذا الشخصية المترسخة في الأدب العربي، استخدمت بدلالاتها الأصلية في الشعر وهو ممثل السواد والقبح وله دلالة إيجابية في العديد من الأعمال الأدبية العربية. هذا الملح وظّف في شعر المعري بدلالاتها الأصلية مع تغيير جزئي كما في البيت التالي نجد دلالة السود والبساطة معاً لدي الزنجي الموصوف:

من الزنج كهل شاب مفروق رأسه، وأوثق، حتي نهضه مُثاقِل

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ١٢٥)

في هذا البيت، يرتبط اللون الأسود باللون الأبيض، مما يوحي السذاجة والبساطة، مثل الشاب الذي نمي شعره الأبيض في رأسه وهذا الشعر الأبيض في سجن الشعر الأسود وجمعه حيث لايمكن شاهده بوضوح حتى لحظة شيخوخة الجسم وضعف البدن، عندما يتغلب الأبيض على الأسود ويضرب الإنسان علي الأرض. أو في البيت التالي نجد صورة الزنجي مقترناً بصورة الغراب:

كُعْصَبَةُ زَنْجٍ رَاعَهَا الشَّيْبُ فَازْدَهَتْ مَنَاقِشَ فِي دَاجِي الشَّيْبَةِ أَفْرَع

(المصدر نفسه ، ج ، ٢، ص: ٣٧٥)

وفي هذا البيت يصف الشاعر عما يقال في الأساطير عن الغربان والسود في شعره بصورة جيدة وهو مقول تجزئة الشعر الأبيض من الشعر الأسود في الغراب والشخص الأسود وهذا العمل قبيح لكليها. أو حينما نجد الصورة الرائعة لهذه الصور في البيت التالي:

وَنَسُوهُ الزَّجْجَ بِأَيْمَانِهَا ، لِلرَّقْصِ ، قَضَبٌ ذَهَبِيَّات

(المصدر نفسه ، ج ٢، ص: ٢٢٢)

هنا قدم الشاعر اللون الأسود، بصغة رومانتيكية حلوة رائعة، حيث نجد الأسلوب الإيجابي في هذا التمثيل. حينما شبه السحب في الليل وهي يمطرن إلي النسوة الزنج وهي يرقص. وشبيه قطرات الماء بالقضب الذهبية في أيديهن. الشاعر خلال هذه الصورة الخلابة يثير فينا الوجد والسرور والنكتة الأساسية في البيت هي أنها استخدمت من اللون الأسود في تصويره لهذه الصورة الجميلة.

بَسَبِغِ امَاءٍ مِنْ زَغَاوَةِ زُوجَتٍ مِنَ الرُّومِ فِي نَعْمَاكَ سَبْعَةَ أَعْبُدْ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٧٩)

في هذا البيت، يصور المعري اتحاد اللونين الأسود والأبيض وسيطرتهم على الألوان الأخرى بشكل جميل. السود والرومان البيض كانوا متميزين في الشجاعة حيث لا مثيل لهم.

٤.٣. العين الأسود

الأسود ظهر في شعر معري بأشكاله المختلفة وهو علي رغم دلالة السلبية في الثقافة العربية عامة ولدي الشاعر خاصة، يظهر في غالبية الأحيان ذات دلالات إيجابية بما أن الشاعر استخدمه في أشكال إيجابية من هذا الأشكال هو العين والأسود علي رغم بشاعة يكون جيدة محبة حينما يصف به العين. كما نجد هذا الموضوع في البيت التالي:

تَخَيْرُ سُودَهَا ، وَتَقُولُ: أَحْلِي عِيُونَ الخَلْقِ أَكْثَرُهَا سُودًا

(المصدر نفسه ، ج ٢، ص: ٢٠٣)

في هذا البيت، يعبر عن مهارته وإبداعه في الهيمنة والتغلب على السواد بطريقة جميلة وغير عادية ويقول أن البطل هو دائما بطل ويدعو الخصم القوي أي السواد والظلام إلى القتال لأنه هو واثق من حركته وبراعته في المعركة. كما أشار إلى المعنى الإيجابي للون الأسود، وهو رمز الجمال في العيون وبمقارنتها إلي الليالي شديدة السواد، فقد أزال الآثار السلبية لليالي المظلمة، وهي الخوف والذعر لدي الإنسان. لكن في بعض الأحيان نجد وظف الشاعر هذا اللون في سياق آخر وهو سمة لازمة إلي العيون ذات دلالات سلبية كما نجد في البيت التالي:

وكم عين تؤمل أن تراني، وتفقّد عند رويتي السّواد

(المصدر نفسه ، ج ٢، ص: ١٣٢)

يشير في هذا البيت، إلى قوة البياض وتفوقه على الأسود. قد وظف الشاعر في هذا السياق تشميلا جميلا، كأن الإنسان في يوم مشمس مثلج، ينظر إلى الأرض المغطاة بالثلج ويضربه البياض الناتج عن نور عينيه. هنا صور الشاعر عيونهم بالسود لابعني أنهم ذوو العيون السودا بل هم ينفرون رؤيتي أو لايجني كأن عيونهم سود أي عمياء؛ إذن هنا نجد دلالة سلبية في اللون الأسود.

فمن الغمائم لو علمت غمامة سوداء هداها نظير اليبّ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٠٦)

في البيت الأخير نجد دلالة إيجابية رومنتية للعين الأسود؛ الشاعر شبه عينه بالسحاب السود والوجة المتشرك بينها هو أن كلاهما تحمل ماء كثير. السحاب الأسود يحمل المطر الكثير وعين الشاعر بما يحمل دم كثير في فراق الحبيب شبيه بالسحاب الكبير. إذن الشاعر استخدم صورة أدبية رائعة تدل علي وعيه الكامل عن الألوان وكميتها وخصائصها.

٣-٥. الغراب الأسود

المملح الآخر الذي تم توظيف اللون الأسود لدي الشاعر العباسي هو الغراب، هذا الطائر الأسود الشهير ذو دلالة سلبية في العديد من الثقافات. يجدر الذكر أن من أكثر

التعابير أو الكلمات شيوعاً وتوظيفاً في مجال اللون الأسود في الشعر المعري هو هذا الطائر الأسود الذي تم ذكره في الثقافات العربية مثل المنجد والمورد والحيوان للجاحظ والحيوان الكبير للدميري أنواعه وأقسامه وخصائصه. وقد ذكرت أنواع هذا الطائر في ثقافة المنجد على النحو التالي: الغراب الاعصم، غراب البحر، غراب البين، غراب القيط، غراب نوح، غراب الزرع، الغراب الابقع» (المنجد، ص ١٣٩٧). تم ذكر اللون الأسود لهذا الطائر في العديد من التماثيل «أشد سواداً من الغراب» (جاحظ، ج: ١: ٥٠٥). وكذلك وظّف العديد من الشعراء العرب في تشبيهاتهم الشعرية اللون الأسود للغراب. في هذا السياق يقول المعري:

فيها اثنان واربعون حلوبه سواد، كخافية الغراب الاسحم
أو حينما يقول:

بالله، يا دهر أذق غرابها موتاً، من الصبح يبارك كرز

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٩٨)

الكرز في هذا الشعر يعني صقر تهاوي شعره الأسود، الشعر الذي كان أجمل وأكبر. في هذا البيت، سئم الشاعر من عينيه العمياء واعتبرها مثل الغراب، وهو مظهر من مظاهر الشؤم والنفور، ويتطلب اللون الأبيض الذهبي المشعشع والمتلون للصقر، الطائر الذي عيونه بصيرة. إذن في هذين البيتين الغراب ظهر ذو دلالة سلبية في شعر المعري. بعض الأحيان نجد أن الشاعر جمع بين الدلالة السلبية والإيجابية للغراب الأسود بصورة لطيفة حينما يقول هكذا:

إذا صاح ابن دأية بالتداني جعلنا خطر لمتته جسادا

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٢٠٣)

خاطب الشاعر هذا البيت، خاله علي بن محمد بن السبكية الذي ذهب إلى المغرب وأصبحت رحلته طويلة، وقال إنه لو أعطانا ابن دايه (أي الغراب الأسود) بشرى قدومه لكنا نكون سعيد بلونه الاسود ونعطرها الزعفران المعطر.

نضمخ، بالعبير، له جناحاً أحمر، كأنه طلي المداد

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٢٠٣)

كما نجد أن الشاعر في هذا البيت يشير إلى عظمة مكانة خاله وعزته لدى الشاعر ويتمني عوده من السفر، حتي أنها يزول لأجل وصوله إلى البلاد، رمز الشؤم والقبح للغراب الأسود. وكذلك كمثّل هذه الدلالة نجد في البيت التالي، حينما جعل مقارنة بين الغراب الأسود والعرب السود الشجعان كما يلي:

لا خابَ سَعيكَ من خُفٍّ أسحم كسَحيِم الأسديّ، أو كخُفٍّ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٣٣)

اسم في هذا البيت بمعنى اللون الأسود. سحيم كان اسم عبدالحسحاس الذي كان رئيس قبيلة بني أسد. المقصود من الخفاف، خفاف بن ندبة، من القادات العرب الشجعان. في هذا البيت، صور الشاعر دلالة اللون الأسود الإيجابية وهي ذكاء الغراب وشجاعته وفطنته، دل الشاعر بواسطته إلى شجاعة الممدوح أي عبد بن الحساس وغيرها من الشعرا والقادات المشهورين العرب. أما هناك أيضا بعض الأبيات، ذكر الشاعر دلالة الغراب لأصلية أي وظيفته في التراسل والإخبار لاسيما الخبر المشؤم كما نجد في البيت التالي:

جَوْنِ كَبِنتِ الجَوْنِ يَصْرُخُ دَائِباً وَيَمِيسُ فِي بُرْدِ الحَزِينِ الضَّافِي

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٣٣)

في هذا البيت ورد ذكر صفة الغراب التراسلية، لأن الغراب في المعتقدات الشعبية الرومانية، طائر كان يُعرف باسم رسول الآلهة وسفيرهم، وبملاسه السوداء تعلن كثيراً الشائعات المشؤومة القبيحة. الشاعر علي رغم أنه لا ينكر هذه السمة السائدة في الثقافات خاصة الثقافة العربية بل يؤكد أنه يصدقها تصديقا كاملا ويعتقد كالعوام والناس أن للغراب هذه الوظيفة الهامة:

أَصَدَّقُهُ فِي مَرِيَةٍ، وَقَدْ امْتَرَّتْ صَحَابَةُ مُوسَى، بَعْدَ آيَاتِهِ السَّع

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٤٦)

في هذا البيت، كان المعري مدركا تماما للذكاء العالي للغراب، لأن تشريح أدمغة الغربان يشبه إلى حد ما إلي تشريح دماغ الإنسان، لكن هذا ليس سببا أن لا نشك في أصواتهم، لأن لقد شك قوم موسى بكل الآيات والعلماء في كلامه. إذن ينبغي للمرأة

أن يشك في كلام الغراب الذكي والعدواني والمحتاط حينما يسير فوق الناس. أما نجد دلالة إيجابية أخرى للغراب في البيت التالي:

وما قام، في عليا زغاوة مُنذرٍ فما بال سُحْمٍ يَنْتَجِنَ ءالي بَقع

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٤٦)

في هذا البيت يصف الشاعر اتحاد السود ووحدتهم وتنسيقهم ويشبههم من هذا الجهة بالسمة المميزة للغربان وهي وحدة الكلام ووحدته. هنا الشاعر علي رغم عميه أدرك دقائق الأمور في حياة الغراب وهذا شياً عجيب، ربما أن العديد من المبصرين لا يلفتون إلي وحدة الغراب ونظمهم حينما يسرون في السماء لكن الشاعر اشار إليها في البيت السابق.

بَغَتْ شَعَرَاتٍ كَالثُّغَامِ فَصَادَفَتْ حَوَالِكَ سُدُودٍ أَمَّا حَلَلْنَ لِمُرْتَعٍ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٧٥)

في هذا البيت يعبر أيضاً عن خطأ الغربان في فصل الشعر الأبيض عن الأسود وبسبب هيمنة الأسود على بياض. الثغام في هذا البيت هو نبتة ذات أزهار بيضا تشبه بالشعر الأبيض. أو في البيت التالي نجد وظف الدلالة الإيجابية الأخرى في وصفه عن الغراب:

مَثَلْ خُفَافٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ عَلِي اجْتِيَابِ الْحَسَبِ الْمُظْلِمِ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٤٣٣)

في هذا البيت يشير المعري إلى المعنى الإيجابي للون الأسود، وهو السيادة والرئاسة، فيتعد هو عن إيذاء الغراب الغراب وظلم إليه. أي أن هناك الكثير من السود، على الرغم من سواد وجوههم، لديهم أخلاق وأعمال جيدة مثل بلال الحبشي مؤذن رسول الله (عليه السلام) في المدينة عنترة بن شداد العبسي، الشاعر العربي الجاهلي. في هذا السياق نهى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته عن قتل النمل الأسود لأن الناس كانوا يعانون جوعاً في زمن سليمان بن داود، حينما ذهبوا إلى صلاة المطر رأوا نملة تقف على رجلها يرفع يديه إلي السماء تقول: يا الله نحن خلائقك ولسنا غير محتاجين من

نعمتك. أعطنا رزقنا ولا يعاقبنا إلى ذنوب بعض البشر قليلون العقل. ثم ثال سليمان إلى الناس: ارجع إلى دياركم لأه الله تعالى أعطاكم الماء والمطر بواسطة صلاة الآخرين.

٢٠٦. الشعر الأسود

الشعر السود يعد ملمحا آخرًا وقف عليه الشاعر الأعمي وصفه بدقة واهتم إلي خصائصها. الأشخاص ذوو الشعر الأسود يتمتعون بشخصية قوية وثابتة وجذابة، فهم يحبون إظهار غضبهم، فهم يغضبون ببساطة شديدة وبسرعة، ويظهرون الكثير من الصبر والتحمل في مواجهة الأشياء الصعبة، فهم صبورون جدًا. في كثير من الحالات يريدون الحداثة والتجديد. والشيء الوحيد الذي قد يترددون في تغييره هو تغيير لون شعرهم. يتمتع هؤلاء الأشخاص بشخصية هادئة ورومانسية (دراسة الشخصية على أساس لون الشعر).

كَأَنَّ الْأُنُوقَ الْخُرْسَ فَوْقَ غُبَارِهِ طَوَالِعُ شَيْبٍ فِي مَفَارِقِ أَسْوَدٍ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٨٠)

في هذا البيت، جاء لشاعر هيمنة اللون الأبيض على اللون الأسود بصورة رمزية؛ تزايد عدد الصقور يدل على قوة جيش الممدوح والهيمنة على السواد والشؤم. قد صور الشاعر هذا الموضوع بصورة جميلة.

وَشَاها ابنُ أَشْي، جَاهِدًا فِي شَبَابِهِ، أَلِي أَنْ جَلَّتْ عَنْ مَفْرِقِهِ الْخَنَادِسُ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٤٩٨)

في هذا البيت، أشار المعري إلى النبي داود (عليه السلام) الذي كان بارعاً في صناعة الدروع واعتبر درعه أفضل من درع داود (عليه السلام) الذي بيض شعر الأسود في عملية صنع هذه الدروع. وهكذا هيمنة اللون الأبيض على اللون الأسود تدل على الخبرة والبراعة.

٢٠٧. الجيش الأسود

نظرا إلي ذكاء الشاعر العباسي الدقيق وتفوقه في استقطاب الأمور، نجد أنها استخدم اللون الأسود في أشكال تحتاج إلي نظرة دقيقة متأملة كإدراك اللون الأسود في الجيش العرمرم أو الجيش الضخم. لأن هذا الجيش حينما يهجم أو يمهد نفسه للهجوم

والتراصف يتسم بالسود والشاعر عني إلي هذه الميزة بحاسته العجيبة لذلك نجد بعض الأبيات ذكر الشاعر هذا اللون حينما يصف الجيش الأسود كما يلي:

وسما الي حَوْضِ الغَمَامِ، فَمَاوَه كَدَرِمْنَهْـالِ الغَبَارِ الاَقْتَمِ

(المصدر نفسه، ج، ٢، ص ٧٣)

الشاعر وصف معركة تتعارك في الجيوش وهيمن اللون الأسود في الفضاء وساحة المعركة. هذه اللون تكون من تراكم الجنود وتزاحم الخيول وحركتهم أما كما نجد في البيت التالي، يصف الشاعر الجيش البحري بهذا اللون:

سِوِي أَنْ السَّفِينِ تَخَالُ فِيهَا يَبُوتَ الشَّعْرِ شَكْلًا واسودادا

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٢٠٤)

يشبه الشاعر في هذا البيت سفينة رومانية سوداء بخيام العربي الأسود، أي يعبر بهذا التشبيه عن قوة اللون الأسود وتأثيره، وهو هنا علامة على قوة الجيش الروماني وصلابته. أما في البيت التالي، وظف اللون الأسود في وصف سواد الجيش بوضوح، حيث السواد فيه يدل علي الكثرة:

أَتَتَا مِنْ الْأَتْرَاكِ أَعْلَامُ طِي تَقْوُدُ مِنَ السَّوْدَانِ حَرَّةَ رَاجِلِ

(المصدر نفسه، ج ٢، فص: ٢٩١)

في هذا البيت قد صور الشاعر، عظمة جيش العدو أو كثرتهم و عددهم بمعونة توظيف اللون الأسود (المقصود من أعلام طيء هو الجبال التي كان أحجارها بيضاء تشبه الأتراك البيضاء إليهم. حرة راجل يعني الأرض الصعبة التي كان صخورها سودا كأنها محترقة تماماً). هنا نجد دلالة حيادية، أي لا يمكن أن نعتبر دلالة إيجابية أو سلبية، بل هو يدل علي الكثرة والتعدد. بعض الأحيان الشاعر يصف العناصر التي تستخدم في الحرب بهذا اللون كالسنان الأسود في البيت التالي:

فَهِيَ فَمِ الْعَوْدِ بَذَهْنَ بِهِ وَهَنْ شَوْكِ الْقِتَادِ وَالسَّلَمِ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٤٦٣)

في هذا البيت يصف الشاعر الدرع ويشبهه بياضه وقوته بالفم الأبيض للإبل المتمرس الذي عاش أيام الصحراء وذوقت أيامها الحارة والباردة أي هي خبرة تماماً، ورمح

الصحراء كانت أسيرة لأسنانه البيضاء، كما أن سواد السنان و الرماح في الدرع يكن دون أي تأثير لاينفذ فيه. كذلك نجدة صورة الغبار وشدتها وتوصيفه باللون الأسود في البيت التالي:

أعينها، لم تزل حوافرها تكحلها، والغبار اثمدتها

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٢١٧)

هنا صور الشاعر شدة الغبار في المعركة وعادة عيون الجنود إلي هذا الغبار أو إلي هذا اللون الأسود. وهي تدل علي شدتها وقوته وعادة الإنسان به حينما يكون أكثر فأكثر. كمثّل هذا الأسلوب نجد في البيت التالي؛ حينما يشيرة إلي شدة اللون الأسود في السحاب:

نقمت الرضي حتي علي ضاحك المزن فلاجادني الابعوس من الدجن

(المصدر نفسه ، ج ٢ ص: ٢٤٤)

بدل أن يكون الشاعر مسروراً باللون الأبيض أو محزوناً باللون الأسود، نجد عكس هذه القضية؛ حيث هو صرح أنها سار من السحاب الأسود الدجن. ربما عميه أعينه وشباهته إلي السحاب الأسود أو رؤية الأشياء بهذا اللون جعله يتلذذ من هذا اللون ويتلائم بها.

٨ - ٣. الثوب الأسود

الملمح الأخير الذي نتناولها هو الثوب. أي أن الشاعر انشد بعض أبيات يصف فيها الثوب بالأسود وهو لم يهمل هذا اللون في هذا النموذج الأخير وهذا يدل علي شمولية اللون الأسود وهميته علي حياة الشاعر، يقول المعري في البيت التالي:

فتسلبن، واستعرن جميعاً من قميص الدجي ثياب حداد

(المصدر نفسه ج ٢، ص: ٢٦٣)

الشاعر العباسي أشار في هذا البيت إلي ثوب العزا الذي ارتديه الليل، وهو يدل علي المأساة والحزن وسعتها وعظمتها وعرض بهذا الطريق الدلالة السلبية للون الأسود. أي نجد مقارنة بين الليل والثوب كما هو السائد في العديد من أبياته. في البيت التالي يصف الثوب الأسود دلالة عل الفخر والمبالاة حينما يقول:

وأحلف ما حطت مكانك غربة ولا سودت عليك أثوابك السحْم

(المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص: ٣١٢)

في هذا البيت، عبّر عن سوء فهم بعض الناس للون الأسود بالوضوح، لأنه في الماضي كان البعض يستخدم اللون الأسود كدلالة على الحزن والأسى، لكن بعض الأغنياء يعتبرون علامة على الفخر والسيادة. في بعض الأحيان نجد أن الشاعر وصف الريش الذي يتسم بها بعض الطيور بهذا اللون؛ لأن هذا الريش يكون لهم بمنزلة الثوب كما نجد في النموذج التالي:

وحَمَاءَ العِلاطِ يَضِيقُ فُوهاَ بما في الصّدرِ من صِفةِ الغَرامِ

(المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٣٦٢)

في هذا البيت وجدنا أن الشاعر استعمل طوق الحمامة وهو الأسود ليعين عن حزنه وألمه. إذن الأسود في الثوب الأسود ذو دلالة سلبية وإيجابية. في بعض الأبيات ذات دلالة إيجابية في بعض الآخر تحمل دلالة سلبية.

٤. النتيجة

قد وصلنا بعد الجولة الفسيحة حول دلالة اللون الأسود وجمالياته في شعر المعري إلي النتائج التالي:

اللون الأسود من أهم الألوان وأكثره تواتر في ديوان الشاعر وكان سببه واضحاً لأن الشاعر فقد بصره من نعومة أظفاره ورأي الأشياء طوال حياته باللون الأسود. لأجل هذا نجد تعدد الأشكال التي وظّف في شعر المعري موصوفاً بهذا اللون. كالليل الأسود والغراب الأسود والزنجي الأسود والعين الأسود والحصان الأسود والجيش الأسود والثوب الأسود.

وجدنا ثلاثة مستويات من الدلالات والجماليات العامة لدي الشاعر وهي السلبية والإيجابية والحيادية. كل الأشكال يتسم بكل هذه الجمليات، أي لا يمكن أن نقول أن الليل ظهر في الشعر ذا دلالة إيجابية أو سلبية تماماً، بل ظهر في بعض المواقع ذو دلالة إيجابية وظهر في بعض الآخر ذو دلالة سلبية. لكن هذا اللون في الحصان ذو دلالة سلبية تماماً والليل ذو دلالة سلبية في غالبية الأحيان إن يتمتع من الدلالة الإيجابية حينما يصف

بالسكون والطمأنينة. كذلك الثوب يتناوب بين الدالتين وهو ذو دلالة سلبية حينما يتصف بالحزن وذو دلالة إيجابية حينما يدل علي الفخر والمباهاة. في بعض الأحيان نجد دلالة حيادية كاللون الأسود في الجيش وهو يدل علي الكثرة والتعدد لا يدل علي السلبية والإيجابية.

من حيث الإحصاء وكمية تواتر اللون الأسود وتعددته في شعر الشاعر نجد تم استخدام الأسود في شعره مع تعابير مثل الحصان (٣ مرات)، الليل (٢٥ مرة)، الزنجي (٤ مرات)، العين (٤ مرات)، الثوب (٦ مرات)، الغراب (٧ مرات)، الشعر (٧ مرات)، الجيش العرمم (٣ مرات). بالرجوع إلى مخطط ألوان لوشر ومطابقته في الشعر المعري يمكننا القول إن اختيار اللون الأسود كأول لون وأكثرها تواتراً في ديوان الشاعر وهو يدل بالوضوح على حقيقة أن أبو العلاء معري شخص يشعر الأشياء بهذا اللون ويتعامل مع هذه اللون أكثر وأعمق من بواقي الألوان.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن خلكان، أبو العباس (د. تا) شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت، دار الثقافة، د.ت.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك أبو محمد (٢٠٠١م): فقه اللغة، تحقيق جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- جمع من المؤلفين، (١٩٦٥م) تعريف القدماء بأبي العلاء، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
- الجندي، محمد سليم، الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره، تعليق وإشراف عبد الهادي هاشم، الطبعة الثانية، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢م.
- جواد، فتن عبد الجبار (٢٠٠٩م): اللون لعبة سيميائية / بحث إجرائي في تشكيل المعني الشعري، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
- حنا الفاخوري، (١٣٩٠)، تاريخ الادب العربي، چاپ ششم، انتشارات توس،
- الخطيب، عبد الكريم. (١٣٩٩ق). «رهين المحبسین: أبو العلاء المعري في مواجهة الاتهام بالألحاد و الزندقه □ الوعي الإسلامي. العدد
- عمر، احمد مختار (١٩٩٧م): اللغة واللون، القاهرة، علام الكتب، ط٢.
- عبو، فرج (١٩٨٢م): علم عناصر اللون، إيطاليا، ميلانو، دار دكفن، ج٢.

- طه حسين، من تاريخ العصر العباسي الثاني، القرن الرابع الهجري، شركت العالمية الكتاب، الدار الإفريقية العربية، بيتا، ج ٣، ص ٥٨٤
- ظاهر، فارس ميري (١٩٧٩م): الضوء واللون، بيروت، درا القلم، ط١.
- الفيني، عبد الله. (١٩٩٧م) الصورة البصريه لدي الشعراء العميان. ط١. رياض:النادي الأدبي. المنجد الابجدي (١٣٦٩) المنجد، بيروت: دارالمشرق. الطبعة التاسعة
- المعري، أبو العلاء (١٩٥٧م). سقط الزند. ط٣. بيروت: دار بيروت
- المعري، أبو العلاء، (د.تا) ديوان لزوم ما لايلزم، تحقيق و تعليق عمر الطباع، بيروت، شركة دار الارقم، د.ت.
- المعري، أبو العلاء، (١٣٤٢). شرح التتوير علي سقط الزند، مطبع مصطفى محمد، مصر.
- المعري، أبو العلاء (١٩٨٦)، معري، الزوميات، دارالكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية
- نشوان، حسين (٢٠٠٤م): «المعجم اللوني في شعر عزالدين المناصرة□»، الأردن، مجلة أفكار، تصدر عن وزارة الثقافة، عدد ١٨٩، تموز.